

# الفصل السابع

## دور الفكر العربي الاجتماعي التقليدي في تطور الفكر الاجتماعي العربي المعاصر

المقدمة

- ١ - علماء الاجتماع العرب المحدثون في مصر.
- ٢ - علماء الاجتماع العرب المحدثون في العراق



## المقدمة:

يعنى هذا الفصل بتوضيح المسارات النظرية والتطبيقية التى اقتناها علماء الاجتماع العرب المعاصرون عند دراستهم للعمليات والظواهر والمشكلات والمؤسسات الاجتماعية التى اتسمت بطابعين أساسيين هما طابع الأصالة الذى يجمع ويوفق بين التراث والمعاصرة وطابع التغريب الذى يقلد ويقتبس ويستتج ما جاء به علماء الاجتماع الأجانب ومنهم الغرييون خاصة دون مراعاة للواقع الاجتماعى الذى يدرسونه وما يتسم به من تاريخ وخصوصية وصفات ثابتة لا تتميز بها الكيانات أو المجتمعات الأخرى.

لقد تأثر الفكر الاجتماعى العربى المعاصر بمؤثرات تراثية عربية أصيلة وبأفكار ومنطلقات نظرية ومنهجية مستقاة من الخارج. كما أن طروحاته وموضوعاته وأطره النظرية والمنهجية والتطبيقية كانت إما تجسد الواقع العربى وما يتسم به من مزايا منفردة وخصائص ثابتة، أو تنقل نقلاً حرفياً وتطبيق المنقول على المجتمع العربى دون النظر أو التفكير بملائمة ما يطبق من أفكار وطروحات على الواقع العربى ومرحلته الحضارية التاريخية الخاصة به. لذا تميز الفكر الاجتماعى العربى المعاصر بصفتين أساسيتين هما الأصالة التى يحرص عليها بعض المفكرين الاجتماعيين العرب والتغريب القائم على التقليد والمحاكاة والاقْتباس الذى يعبر عن نفسه بوضوح فى كتابات الكثير من الباحثين العرب<sup>(١)</sup>.

تأثر علم الاجتماع العربى المعاصر بالتراث الاجتماعى العربى وأدبياته وتجمد فى الكتب والأبحاث والدراسات التى نشرها علماء الاجتماع العرب وكذلك طرق التدريس ومناهج البحث المعتمدة فى الجامعات العربية ومراكز البحوث العربية المحلية منها والإقليمية.

إن أغلب علماء الاجتماع فى الوطن العربى متأثرون بتعاليم ونظريات وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية التى تدور حول أهمية فلسفة التاريخ فى فهم حقيقة المجتمع البشرى

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع العربى المعاصر بين الأصالة والتغريب، دراسة غير منشورة، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣ - ١٠.

وحقيقة تحوله من شكل لآخر، وتهتم بدراسة أوجه الشبه بين الحقائق الموضوعية والقيم الذاتية، أى التزام الباحث بالحقائق وابتعاده عن القيم وعدم إدخال أهوائه ونزعاته وميوله واتجاهاته فى دراساته العلمية طالما أن القيم والأهواء والنزعات الذاتية تفسد الحقائق العلمية وتسيء لها وتشوه جوهرها<sup>(١)</sup>.

كما تأثر علماء الاجتماع العرب بالفلسفة الاجتماعية والسياسية عند الفارابى لا سيما ما يتعلق منها بتصنيف المجتمعات تبعاً لحجومها وقيمتها وممارسات أفرادها، والأسس الفلسفية التى يعتمد عليها الاجتماع الإنسانى، وأصل نشوء المجتمع الإنسانى وأنماط تحوله من طور إلى طور آخر، بالإضافة إلى آراء وطروحات الفارابى عن القيادة من حيث مفهومها وصفاتها ووظائفها وأنواعها<sup>(٢)</sup>.

كما تأثر علماء الاجتماع العرب بدراسات وتعاليم ابن بطوطة التى تدور حول الحتمية المناخية والجغرافية، أى أثر البيئة الطبيعية والظروف المناخية فى طبيعة المجتمعات المحلية والعالمية الموجودة فى العمورة وأثرها فى عادات وتقاليد وقيم ومقاييس وأمزجة الشعوب<sup>(٣)</sup>.

مما تقدم نلاحظ أن أغلب الأبحاث والدراسات التى نشرها المفكرون الاجتماعيون العرب فى مجال الفكر الاجتماعى قد تأثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالفكر الاجتماعى والفلسفى التراثى عند العرب<sup>(٤)</sup>.

والآن يمكن اختيار بعض علماء الاجتماع العرب المحدثين وتوضيح الطريقة التى

---

(١) بوتول، غاستون، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ترجمة عادل زعيتير، ط٢، المؤسسة العربية

للدراستات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩ - ٢٢.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، رواد الفكر الاجتماعى، مطبعة وزارة التعليم العالى، بغداد،

١٩٩١، ص ١٣ - ١٥.

(٣) ابن بطوطة، تحفة الانظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار (مخطوطة تم إنجازها سنة

١٣٥٦م).

(4) Hegedus/ A. The Principal Trends and Development of Applied Sociology,

Kortars, Press, Budapest, 1988, p. 12.

تأثرت فيها أفكارهم وطروحاتهم وتحليلاتهم للظواهر والمتغيرات والعمليات الاجتماعية بأفكار علماء الاجتماع العرب التقليديين .

وفى هذا المقام قسّمنا علماء الاجتماع العرب المحدثين إلى صنفين من العلماء هما:

### أ - علماء الاجتماع العرب المحدثون فى مصر:

لقد تأثرت الأبحاث والدراسات والمؤلفات التى نشرها الاجتماعيون العرب فى مصر بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالفكر الاجتماعى والفلسفى التراثى عند العرب، والآن علينا دراسة أهم علماء الاجتماع المصريين الذين تأثروا فى أبحاثهم ودراساتهم بالفكر الاجتماعى التقليدى من حيث الأفكار التى طرحوها والمنهجيات التى اعتمدها فى الدراسة والتحليل والنظريات التى تبناها فى تفسير الظواهر والعمليات الاجتماعية التى تناولوها فى دراساتهم وأبحاثهم، علماً بأن أهم هؤلاء العلماء المصريين هم:

#### أولاً: الدكتور على عبد الواحد وافى:

لقد حصل الدكتور على عبد الواحد وافى على شهادة الدكتوراه من فرنسا عام ١٩٣١ عن كتاباته حول النظرية الاجتماعية فى الرق والفرق بين رق الرجل ورق المرأة. وقد تعددت الاتجاهات التى كتب فيها الدكتور وافى رغم سيطرة النزعة الدينية على أغلبها.

لقد تأثر الدكتور وافى بطروحات وأفكار الغزالى المتعلقة بالتربية والسلوك ودور المربى فى التربية الناجحة، وأن السلوك هو نتيجة حتمية للتربية الأسرية والأخلاقية. ويبدو هذا واضحاً فى مؤلفه الموسوم «عوامل التربية» الذى يوضح فيه بأن تربية الطفل تتأثر بعوامل كثيرة منها مقصودة وأخرى غير مقصودة فالمقصودة هى الوسائل المدبرة التى يقوم بها الكبار من أفراد النوع الإنسانى حيال الصغار، وأهم موطن لهذا النوع هى الأسرة والمدرسة.

أما العوامل غير المقصودة فهى العوامل التى تؤثر فى نشأة الطفل وغوه من النواحي الجسمية والخلقية دون أن يكون للكبار دخل فى توجيهها نحو هذه الغاية، وأهم هذه العوامل هى القوى الطبيعية التى تؤثر فى نشأة الطفل وغوه بدون أن يكون لأحد يد

فى إثارتهآ وعوامل أخرى يسوم بها الطفل نفسه مدفوعاً إليها بعامل ميوله الفطرية واللى من شأنها أن تؤثر فى قواه الجسمية والعقلية والخلقية<sup>(١)</sup>.

لقد تأثر الدكتور وافى فى العديد من مؤلفاته بفكر ابن خلدون الاجتماعى من خلال شرحه لمقدمته بشكل تفصيلى، حيث أوضح بأن التحول الاجتماعى يتم بشكل مستمر، وأن المجتمع البشرى شأنه شأن الفرد يمر بمراحل متعددة. وقد اعتمد الدكتور وافى مناهج متعددة فى دراسة المجتمعات أهمها منهج الملاحظة والملاحظة بالمشاركة.

ومن خلال مراجعتنا لمؤلفات ابن خلدون نجد أنه اعتمد على مناهج متعددة فى دراساته الاجتماعية، حيث بدأ دراساته بتحليل أصل وجود المجتمع وحمية حركته وتطوره عبر الأجيال والعصور<sup>(٢)</sup>.

وقد اعتمد ابن خلدون فى دراسته للمجتمعات المنهج المقارن، حيث أشار إلى ضرورة مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها فى المجتمع نفسه وفى غيره من المجتمعات، بالإضافة إلى اعتماده على منهج الملاحظة والمنهج التاريخى ومنهج الملاحظة بالمشاركة والمنهج الاستقرائى الذى يستخدم بعد الانتهاء من جمع المادة حول ظاهرة البحث من خلال الملاحظة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الدكتور عبد العزيز عزت:

من رواد علم الاجتماع فى مصر والوطن العربى رغم أن بداياته كانت تاريخية، حصل على الدكتوراه فى الفلسفة عام ١٩٤٣ من جامعة القاهرة. وقدم لعلم الاجتماع الشئ الكثير إبان الفترة التأسيسية، الفترة التى كانت فيها الفلسفة وعلم الاجتماع علماً متداخلاً وغير مستقلين الواحد عن الآخر.

أما مؤلفاته فيمكن تصنيفها ضمن عدة اتجاهات منها الاتجاه التراثى، حيث يقع بحثه الموسوم «تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون فى ضوء البحوث الاجتماعية

---

(١) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، عوامل التربية، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١ - ٣.

(٢) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، مقدمة ابن خلدون، لجنة البيان العربى، ج ١، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٦٠.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، الكتاب الأول، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨، ص ١٧٥.

الحديثة» الذى بين فيه أن ابن خلدون سبق مونتسكيو بأربعة قرون عندما بين أن الحياة الاجتماعية تسير وفق سنن محددة<sup>(١)</sup>.

وقد تطرق الدكتور عزت للمماثلة بين تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون والكائن الحى موضحاً أن حركة الحضارة عند ابن خلدون تسير فى خط دائرى وليس فى خط مستقيم كما هو الحال عند أوكست كونت.

وإذا استثنينا هذه المقارنة التى قبلها حول مونتسكيو فإن البحث يكاد يكون أغلبه قد انصب لتوضيح آراء ابن خلدون حول العصبية وهموم الدولة نتيجة الانغماس بالملذات.

وفى اتجاه آخر يقع كتابه الموسوم «فلسفة التاريخ وعلما الاجتماع» وهو عبارة عن عرض تاريخى لحركة تطور المجتمعات البشرية عند فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع ومنهم ابن خلدون، فيكون، روسو، كوندريسيه، وغيرها من الأسماء التى أشرنا إليها، غير أن هذا العرض لا يخلو من الانتقادات فإن فلسفته تشاؤمية وغالباً ما تعتمد على التأمل أكثر من المشاهدة وتنظر لتطور المجتمعات بمنظار كونى واحد وبذلك تتسم بالتعميم.

وكل هذا يتعارض مع علم الاجتماع الذى يهتم بدراسة الواقع الاجتماعى المتباين من مجتمع لآخر ويعتمد على المشاهدة والمقارنة<sup>(٢)</sup>.

وضمن الاتجاه نفسه يقع بحثه الموسوم «الجريمة وعلم الاجتماع»، حيث عرض فيه العوامل المفسرة للسلوك الإجرامى معتمداً بشكل أساسى على ما جمعه (دونالد تافت) فى كتابه الموسوم «علم الإجرام» وأوضح العوامل أو النظريات البيولوجية والنفسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، حيث انتقد تلك العوامل وذكر أن النظريات وكأنها

---

(١) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون، فى ضوء البحوث الاجتماعية الحديثة، أعمال مهرجان ابن خلدون، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنايئة، مصر، ١٩٦٢، ص ٤٢.

(٢) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، القاهرة، ١٩٥١، ص ٣٧ - ٢٩٠.

كلها فى مستوى واحد فى قيمتها وأهميتها مع أن بعضها يفوق البعض<sup>(١)</sup>.

أما كتابه الموسوم «تطور المجتمعات المتأخرة» فهو يقع فى اتجاه آخر أجاد فيه الدكتور عزت ولم يكن ناقلاً فحسب، بل كان مناقشاً ومحللاً، وفى هذا الكتاب يظهر مدى تأثير الدكتور عزت بالنزعة التطورية، وأوضح بأن تطور الحياة الاجتماعية المدنية أو التاريخية، والثالث يسميه تطور المجتمعات القومية أو الحديثة التى ظهرت منذ القرن الحادى عشر، عندما بدأت حركة النهضة الأوروبية وبدأت الأمم تنفصل عن الكنيسة، وظهور الإمبراطوريات الحديثة، أما عن تطور المجتمعات المتأخرة فقد أكد أن المجتمعات البشرية تطورت من البسيط إلى المركب، أى أن كل مجتمع سابق يكون أصغر حجماً فى عدد سكانه وأقل أيضاً فى مستوى حضارته من المجتمع الذى يليه. وفى هذه الآراء يبدو واضحاً تأثير ابن خلدون عليه، والذى سبقه بقرون عديدة فى تقسيمه للمجتمعات البدائية التى اعتبرها تمثل المرحلة الأولى من تطور المجتمعات البشرية بصورة عامة، فهى أيضاً قد مرت بمراحل لا تزال بعض أشكالها قائمة فى الكثير من المجتمعات البدائية فى الوقت الحاضر وخاصة عند الأسكيمو والهنود الحمر وبعض القبائل الأفريقية. ورغم المعلومات التى قدمها الدكتور عزت عن تطور المجتمعات البدائية التى اعتبرها تمثل الشكل الأول للحياة الاجتماعية المتطورة، إلا أننا لم نجد تفسير لسبب وجود مثل تلك المجتمعات، وإنما اكتفى بتحليل أبنيتها الاجتماعية، دون الخوض فى غماره لأنه اعتبر ذلك نوعاً من التأمل الفلسفى والظنى المجرد<sup>(٢)</sup>.

هذه هى الخطوط العامة لآراء وأفكار الدكتور عزت فى مختلف مؤلفاته، ويبدو منها أنه كان مهتماً كثيراً بالجانب التراثى ومتأثراً بما كتبه ابن خلدون عن تطور المجتمعات البشرية، بالإضافة إلى ذلك فإنه ساعد على نقل المعرفة الأكاديمية فى مجال علم الاجتماع والإنسان إلى واقع عمل ملموس واستعان بالمنهج التاريخى المقارن فى أغلب بحوثه ودراساته.

(١) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، الجريمة وعلم الاجتماع، مجلة علم النفس، المجلد الثامن، العدد

الأول، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣، ص ٤٩ - ٥٤.

(٢) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، تطور المجتمعات المتأخرة، دار المعارف بمصر، ط ٣، القاهرة،

١٩٥٧، ص ٣.

### ثالثاً، الدكتور حسن الساعاتى،

لقد حصل الدكتور الساعاتى على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٦ عن رسالته الموسومة «جنوح الأحداث فى مصر». وبالإضافة إلى مؤلفاته المتعددة فى حقل علم الاجتماع فإن له ترجمات عديدة ومراجعات لكتب مختلفة فى مجال خدمة الفرد والجماعة.

إن بحث الدكتور الساعاتى الموسوم «المنهج الوضعى عند الإمام الغزالى» الذى بين فيه أن كلا من الغزالى وكونت هدفا إلى إصلاح المجتمع على أسس موضوعية، إلا أن الغزالى كان أقدم من كونت لتمييزه ما بين الملاحظة المقصودة التى تعتمد على المشاهدة والسماع وما بين الملاحظة المقيدة التى ترتبط بالتجربة العملية، بالإضافة إلى الملاحظة بالمشاركة التى قصد ها الإمام الغزالى عدم تقبل الرأى إلا بعد التدقيق والتمحيص<sup>(١)</sup>.

أما بحثه الموسوم «المنهج العلمى فى مقدمة ابن خلدون» الذى وضع فيه اهتمام ابن خلدون بالبحث عن العلل والأسباب للحوادث والوقائع التاريخية، فضلاً عن تأكيده على أهمية تزود الباحث بالمعارف المتنوعة.

ويتجسد المنهج العلمى عند ابن خلدون فى مؤلفات وأبحاث الساعاتى، حيث يوضح ذلك من خلال تأكيده على ضرورة تثبيت الحقائق والاستعانة بالملاحظة والمقارنة للوصول إلى تلك الحقائق. كما أشار الدكتور الساعاتى بأن ابن خلدون قد وظّف كل تلك المبادئ فى مقدمته المشهورة وآراءه فيها عن الاجتماع البشرى.

وضمن الاتجاه نفسه يقع كتابه الموسوم «علم الاجتماع الخلدونى، قواعد المنهج» الذى وضع فيه بشكل واسع آراء ابن خلدون موضحاً على أنه بالإمكان الاستدلال منها على الكثير من فروع علم الاجتماع كعلم الاجتماع السياسى وعلم الاجتماع الحضرى الذى درس فيه توسيع المدن وما يرتبط بها من ظواهر اجتماعية، وعلم الاجتماع الصناعى والاقتصادى الذى وضع فيه مسائل المعاش ووجوهه من الكسب والضائع، وتطرق الدكتور الساعاتى فى هذا المؤلف عن كيفية استفادة ابن خلدون من معارف

(١) الساعاتى، حسن (الدكتور)، المنهج الوضعى عند الإمام الغزالى، مهرجان الغزالى فى دمشق

(١٩٦١)، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦١، ص

الأولين وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فى توضيح أثر الفساد فى زوال الملك وانهيار الدولة<sup>(١)</sup>.

ويعد المؤلف أعلاه من أهم ما كتب عن ابن خلدون موضحاً مصادره ومنظريته فى صراع البداوة والحضارة وآراءه فى نشوء الدولة وانهيارها.

وقد تحدث الدكتور الساعاتى فى مجالات أخرى أهمها فى مجال مكافحة الجريمة والجنوح آنذاك لأهميته فى معالجة مشاكل الشباب فى الوطن العربى ويقع كتابه الموسوم «علم الاجتماع القانونى» فى نفس الاتجاه، حيث تناول فى القسم الأول منه مراحل تطور الوعى للعدالة عبر العصور موضحاً تداخل القانون مع الأعراف والعقائد والتقاليد عبر العصور، أما القسم الثانى فقد تناول فيه آراء ابن خلدون عن موضوع الضبط الاجتماعى الذى أكد فيه على حاجة الإنسان لقوة قاهرة تمنع اعتداء شخصى على آخر وهذه القوة هى السلطة وموضحاً الوسائل الأساسية للضبط الاجتماعى من تربية ورأى عام وعرف وقانون ودين، وطالب الدكتور الساعاتى بضرورة دراسة الآثار الاجتماعية المنبعثة عن التصنيع للتخطيط إلى المستقبل على أسس علمية سليمة.

وضمن الاتجاه نفسه يقع بحثه الموسوم «النظريات الاجتماعية لتفسير السلوك الإجرامى» الذى بدأه بتوضيح اختلاف العلماء فى تفسير السلوك الإجرامى ما بين العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية، موضحاً العوامل الاجتماعية المفسرة لذلك السلوك التى تدخل ضمنها العوامل الاقتصادية، ووسائل الإعلام، والتفكك العائلي والتناقض ما بين الثقافة الكلية التى يحميها القانون وما بين الثقافة الفرعية.

أما بحثه الموسوم «معوقات التنمية وانعكاساتها فى الدول العربية وخاصة فى مصر» وقد انجبه الدكتور الساعاتى فى بحثه هذا ينقد بعض الباحثين الذين عكسوا بدراساتهم تجاوزههم لواقع المجتمع العربى بسبب انبهارهم بتجارب تنموية دون غيرها تبعاً لطبيعة البلدان التى درسوا فيها رأسمالية كانت أم اشتراكية دون مراعاة الواقع العربى وخصوصيته<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الساعاتى، حسن (الدكتور)، علم الاجتماع الخلدونى، قواعد المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٠ - ٢٠٠.

(٢) الساعاتى، حسن (الدكتور)، معوقات التنمية وانعكاساتها فى الدول العربية وخاصة مصر، ندوة تطبيق المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية على التخطيط للتنمية فى الوطن العربى، الندوة الثانية، تونس ١٩٨٣، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص ٥٩.

أما كتابه الموسوم «التصنيع والعمران» فقد تضمن هذا الكتاب مدخلاً تاريخياً بين فيه اهتمام المفكرين العرب بحقل الصناعة، وخاصة الغزالي الذي عد الصناعة والتجارة من ضرورات الحياة. وابن خلدون الذي بين أهمية تقسيم العمل، حيث أكد أن إعداد الطحين مثلاً يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات من حدادة ونجارة وفخار<sup>(١)</sup>.

كما أن للدكتور الساعاتي محاولة في صياغة نظرية عن الشخصية، وهذه النظرية مبنية على افتراض تفاعل قائم بين التشكيلات النفسية التي تتكون منها شخصية الفرد. وتعرف هذه النظرية بأن السلوك البشري الاجتماعي موجه نحو الآخرين وبطريقة غير مباشرة موجه نحو الشخصية ذاتها.

كما أشار الدكتور الساعاتي في هذا الكتاب إلى اكتشاف جديد جاءت به د. سامية حسن الساعاتي، حيث استطاعت بعد قراءة متأنية متعمقة لمقدمة ابن خلدون أن تكتشف اسم العلم الاجتماعي الذي أنشأه وهو «علم معايشة أبناء الجنس» الذي اختصرته إلى علم المعايشة<sup>(٢)</sup>، حيث إن المصطلح الفرنسي (Sociologie) (سوسيولوجي) الذي صاغه أوگست كونت في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر يعنى حرفياً علم المعايشة الذي وصفه ابن خلدون سنة ١٣٧٧م أي قبل كونت بأربعة قرون ونصف<sup>(٢)</sup>.

ومما تقدم فإن أغلب بحوثه وخاصة الميدانية منها كانت لديه أطر نظرية بما قاله العلماء بهذه المشكلة أو تلك، وإن لم يكن يلتزم بنظرية أو رأى دون آخر، وإنما يتخذ منها مؤشرات مساعدة في التحليل والاستنتاج. والدكتور الساعاتي له شهرة واسعة في مجال علم الاجتماع في الوطن العربي لما قدمه لذلك العلم من خدمة جليلة في مختلف المجالات، وقد استعمل الدكتور الساعاتي في عرضه لتلك المؤلفات المنهج التاريخي والمقارن والمنهج الإحصائي.

---

(١) الساعاتي، حسن (الدكتور)، التصنيع والعمران، بحث ميداني للإسكندرية وعمالها، ط٣، دار

النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤ - ٥.

(٢) الساعاتي، سامية حسن (الدكتور)، علم المعايشة والسيولوجي بين ابن خلدون وأوگست كونت،

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ١٩، ١٤، ٢، ٣، المركز القومي للبحوث الاجتماعية

والجنائية، مصر، ١٩٨٢، ص ١٥ - ٢٠.

## رابعاً: الدكتور محمد علي محمد:

لقد حصل الدكتور محمد علي محمد على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع في جامعة الإسكندرية عام ١٩٧١. ويعد بحثه الموسوم «النظرية الاجتماعية، مصادرها وأصولها» من أهم البحوث التراثية التي عرض فيها أثر الفلسفة والتاريخ والعلوم الصرفة في صياغة الأطر النظرية لعلماء الاجتماع المحدثين<sup>(١)</sup>.

لقد تأثر الدكتور محمد في بحثه الموسوم «علم الاجتماع والمنهج العلمي» بنهجية البحث الاجتماعي التي اعتمدها ابن خلدون في التحليل والتفسير للبحوث الاجتماعية وأهمها منهج البحث التاريخي ومنهج الملاحظة بالمشاركة والمنهج المقارن، حيث شرح الدكتور محمد هذه المناهج بالأسلوب الذي أوضحه ابن خلدون وغيره من المفكرين الاجتماعيين العرب التقليديين.

وقد استفاد الدكتور محمد في مؤلفه الموسوم «الأسس الاجتماعية للتنظيم والإدارة» من آراء وأفكار الرواد العرب الأوائل في تطور الفكر الاجتماعي العربي، وخاصة آراء وأفكار الفارابي عن القيادة وأهم الصفات الواجب توفرها في القائد موضحاً بأن هناك صفات فطرية وصفات مكتسبة من البيئة التي يوجد فيها.

وحاول تفسير طبيعة القيادة من خلال تحديد أساليب القيادة وأنماطها كالقيادة الدكتاتورية والأوتوقراطية والديمقراطية والفوضوية. وفي مجال آخر وضع الأسس الرئيسة لاختيار القادة والصفات الواجب توفرها في القائد<sup>(٢)</sup>.

أما مؤلفه الموسوم «تاريخ علم الاجتماع والرواد والاتجاهات المعاصرة» فقد أوضح الدكتور محمد أهمية التغيير الاجتماعي في تطور الأنواع المختلفة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأضاف بمرور الأيام والأوقات فإن الأشخاص والمدن يتغيرون من حال إلى حال وأن هذا التطور أو التبدل يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية.

---

(١) محمد، محمد علي (الدكتور)، النظرية الاجتماعية، مصادرها وأصولها، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الخامس، العدد الثالث، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنسانية، مصر، ١٩٦٨، ص ٣٠٠ - ٣٤٠.

(٢) محمد، محمد علي (الدكتور)، الأسس الاجتماعية للتنظيم والإدارة، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٨، ص ٣٨٩.

ومما تقدم يتضح لنا تأثر الدكتور محمد بابن خلدون الذي يؤكد على حتمية تغير المجتمع من نمط لأخر مؤكداً على أن أي تغير يرجع إلى ضعف السلطة مما يؤدي إلى حدوث حالة صراع دائم بين الحضارة والبداءة وهو أساس للتغير الاجتماعي بالنسبة لابن خلدون.

وبهذا فإن ابن خلدون قد أوضح بطريقة مؤثرة أسباب التفتت السياسي واضطراب الأمن الذي عم المنطقة في عصره<sup>(١)</sup>.

أما مؤلفه الموسوم "أصول الاجتماع السياسي" فقد تأثر الدكتور محمد بأفكار الغزالي في الاجتماع السياسي موضحاً بأن الدولة هي نتاج لتفاعل مجموعة من العوامل والأحداث التي أدت إلى ظهورها، وأن الدولة تجمع فريد بين كافة تنظيمات المجتمع المدني وذلك نتيجة للدور الهائل الذي يؤديه هذا المجتمع.

ومعنى ذلك أننا نمنح للدولة سلطة عليا لصياغة القوانين وتنفيذها وتكوين قواعد عامة لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

ولهذا فإن الدولة هي قوة تهيمن على كافة القوى الأخرى وتمارس هذه القوة من خلال الأنظمة المعروفة البيروقراطية والقضائية والعسكرية.

ومن جهة أخرى تقوم الدولة على نوع من الاتفاق أو الإجماع أو العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبهذه أصبحت تجمعاً منبئاً له أجهزته الخاصة، لذا فعلي الجميع أن يخضعوا للقانون وأن يمثلوا لنظام الدولة<sup>(٢)</sup>.

ولو رجعنا إلى أفكار الغزالي في مجال الاجتماع السياسي الذي يتكلم عنه في سياق دراسته لأصل نشوء المجتمع ونموه نجده يركز على طبيعة العلاقة التي تربط الخلافة بالأفراد، فالخلافة التي تسيطر على المكانة الإدارية للدولة جاءت من أجل تأمين مصالح الأفراد وحماية حقوقهم والدفاع عنهم وتنمية أحوالهم وإزالة مشكلاتهم، وقد أدت الدولة التزاماتها للأفراد عن طريق الواجبات الكثيرة التي قمتها لهم.

أما أهمية الأفراد للخلافة فتتجسد في الطاعة والولاء والدفاع عن مصالح الخلافة وتثبيت أقدامها ورفع هيبتها والتعاون معها في الظاهر والباطن، لذا يظهر

(١) محمد، محمد علي (الدكتور)، تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٤٥ - ٧٥.

(٢) محمد، محمد علي (الدكتور)، دراسات في علم الاجتماع السياسي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ١٧٧.

الاجتماع السياسي كما يخبرنا الغزالي عندما تتوطأ أركان التعاون المشترك بين الحكومة والأفراد، هذا التعاون الذي يتوخى تحقيق المصلحة الجماعية التي تمكن في تأمين رغبات وإرادات وأهداف الحكام والأفراد<sup>(١)</sup>.

ب- علماء الاجتماع العرب المحدثون في العراق:

إن أغلب علماء الاجتماع سواء كانوا في العراق أو العربي متأثرون بتعليم ونظريات وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية التي تدور حول أهمية فلسفة التاريخ في فهم حقيقة المجتمع البشري وحقيقة تحوله التطوري من شكل إلى شكل آخر.

ومنما تأثر علماء الاجتماع المصريون بالفكر الاجتماعي العربي التقليدي فإن علماء الاجتماع العراقيين هم أيضاً تأثروا بالفكر الاجتماعي العربي التقليدي، وبصورة خاصة ابن خلدون والفارابي المتعلقة بتصنيف المجتمعات تبعاً لحجومها وقيمها وممارسات أفرادها، بالإضافة إلى آرائها وطروحاتها عن القيادة من حيث مفهومها وصفاتها ووظائفها وأنواعها.

إضافة إلى تأثرهم بأفكار ابن بطوطة والإدريسي وابن سينا وابن الأزرق وإخوان الصفا والغزالي<sup>(٢)</sup>.

والآن نوضح أهم المفكرين الاجتماعيين العراقيين الذين تأثروا بالفكر الاجتماعي التقليدي وهم كما يأتي:

أولاً: الدكتور علي حسين الورددي:

لقد حصل الدكتور علي الورددي على شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة تكساس بأمريكا، وتأثر الدكتور الورددي في مؤلفه الموسوم "طبيعة المجتمع العراقي" بنظرية ابن خلدون عن الحضارة والشخصية، وتطرق فيه للحديث عن ابن خلدون ونظريته وأخلاق البدو والريف والحضر<sup>(٣)</sup>.

(١) الحسن، إسمان محمد (الدكتور)، رواد الفكر الاجتماعي، دراسة تحليلية في تزيخ الفكر الاجتماعي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص ١٣-١٠٣.

(٢) الحسن، إسمان محمد (الدكتور)، الفكر الاجتماعي بين التراث والممارسة وبين الأصالة والتقليد، دراسة منشورة، جريدة القاسية، ٣١ آذار، ١٩٩٠، ص ٣.

(٣) الورددي، علي حسين (الدكتور)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، مطبعة الماني، بغداد، ١٩٦٥، ص ١١.

وقد أوضح الدكتور الوردى ازدواجية الشخصية قائلًا: (الواقع أن هناك فرقاً كبيراً بين ما يقصده علماء نفس من ازدواج في الشخصية وما يقصده علماء الاجتماع، فالازدواج يعتبر من الناحية النفسية مرضاً نادراً يعترى بعض الأفراد من جراء عوامل وظروف خاصة.

أما ازدواجية الشخصية بالمعنى الاجتماعي هو أمر آخر، فهو ليس مرضاً نفسياً، وإنما هو ظاهرة، وهو يحدث في كثير من الناس حيث يظهر لديهم صراع ثقافي كما قال الباحثان (بيج ومكايفر) فقد أطلق هذا الباحثان على ظاهرة ازدواج الشخصية اسم الثنائية الثقافية... وأصافاً عندما يتعرض الفرد لمطالب وثقافات اجتماعية متناقضة لا سيما في مراحل نموه الأولى قد لا يتمكن من تكوين شخصية متكاملة في نفسه، فهو يحاول أن يوفق بين تلك المطالب المتناقضة دون جدوى ولهذا فهو قد يصبح ذا شخصية مزدوجة قليلاً أو كثيراً.

وقد أعطي للدكتور الوردى للازدواجي عمق تاريخي أرجعها إلى الصراع ما بين البداوة والحضارة، وبالتالي صعوبة التخلص من تلك الازدواجية.

أما مؤلفه الآخر الذي كان متأثراً بأراء وأفكار ابن خلدون فهو بحثه حول صراع القيم في المجتمع العربي حيث بين فيه سيطرة قيم البداوة على المجتمع العربي بصورة عامة وما سبب ذلك من ازدواجية في الشخصية، أما بحثه الموسوم (ابن خلدون والمجتمع العربي) الذي أكد من خلاله أسبقية ابن خلدون بتأسيس علم الاجتماع من غيره من العلماء لاعتماده على منهجية علمية قائمة على الملاحظة بالمعيشة والمقارنة والتحقق من الأخبار المنقولة<sup>(١)</sup>.

أما عن مجال استخدام نظرية ابن خلدون في الصراع ما بين البداوة والحضارة في دراسة المجتمع العربي، فإنه يعتقد أن المجتمع العربي الحاضر من أكثر المجتمعات تأثراً بالقيم البدوية ولا تزال هذه القيم متغلغلة في أعمال نفوسنا من حيث نشعر أو لا نشعر، ولعل الكثير من مشاكلنا الاجتماعية ناشئة عن التصادم بين القيم البدوية القديمة والقيم الجديدة التي جاءت بها الحضارة الجديدة.

(١) الوردى، علي حسين (الدكتور)، ابن خلدون والمجتمع العربي، أعمال مهرجان ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنسية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٥١٧.

ويضيف هنا الدكتور الوردى: لابد أن يكون هناك فكر اجتماعي عربي لبناء نهضة الأمة العربية الحديثة على شرط ألا نكون مقلدين بحيث عمل ما في مجتمعنا من خصائص وظروف متميزة عن غيره، فمجتمعنا العربي لا يزال يحتفظ بكثير من الخصائص التي كانت له أيام ابن خلدون، وهذا يعني أن نظرية ابن خلدون لا تزال تحتفظ بجديتها وهي ذات فائدة كبيرة يمكننا الاستفادة منها في دراسة واقعنا الراهن. ومن الجدير بالذكر أن نظرية الصراع بين البداوة والحضارة عند ابن خلدون كانت مدخلاً لأغلب مؤلفات الدكتور الوردى التي اعتمد عليها في صياغة فرضياته عن الشخصية العراقية، وضمن هذا الاتجاه يقع كتابه الموسوم (منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته) وتناول فيه الباحث حياة ابن خلدون وآثاره العملية والمناهج التي اعتمدها ابن خلدون، بالإضافة إلى الإشارة إلى عدد من الفلاسفة والفقهاء الذين تأثر بهم وأسباب عبقريته ومنهجه العلمي الذي جسده بنظرية الصراع ما بين البداوة والحضارة<sup>(١)</sup>.

هذه هي جزء من مؤلفات الدكتور على الوردى التي تأثر فيها بنظرية ابن خلدون الصراعية، واستعان بعرضها بالمنهج التاريخي في الدرجة الأولى ثم المنهج المقارن، كما حصل على مادته العلمية عن طريق الملاحظة بالمشاركة، وإن ما كتبه الدكتور الوردى عن ابن خلدون هو جهد له قيمة علمية كبيرة.

### ثانياً: الدكتور عبد الجليل الطاهر

حصل الدكتور عبد الجليل الطاهر على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو بأمريكا سنة ١٩٥٢ عن أطروحته (الجاليات العربية في أمريكا). للدكتور الطاهر له عدة مؤلفات في مجالات مختلفة بالإضافة إلى الترجمة، أبرز مؤلفاته كتابه الموسوم " البدو والعشائر في البلاد العربية" وبعد هذا للكتاب من الكتب القيمة لما تضمنه من مفردات وعمق وتحليل للأسس الاجتماعية والنفسية التي يقوم عليها المجتمع البدوي والعشائري مركزاً هنا على آراء ابن خلدون في العصبية القبلية والحقوق والواجبات في كلا المجتمعين، وأثر البدو والعشائر في السياسة والصراع ما بين الولاء للقبيلة والولاء للوطن والنظام العائلي من حيث الأدوار

(١) الوردى، على حسين (الدكتور)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٩-٢٧.

والعلاقات الاجتماعية في الريف والحضر، وخصائص المجتمع البدوي (التنقل، الغزو، النخوة...) وتوزيع البدو والقبائل والعشائر<sup>(١)</sup>.

وضمن الاتجاه نفسه يقع بحثه الموسوم "مسيرة المجتمع بحث في نظرية التقدم الاجتماعي" ويكثر في هذا البحث عدة تساؤلات منها هل أن المجتمعات في فجر الحضارات الأولى كانت أكثر سعادة منها؟ المدينة التي تتمتع بثمارها تكلفنا أثماناً باهظة؟ ندفعها علي حساب قيمنا الحضارية الروحية؟ تلك التساؤلات كانت مثار جدل في هذا الكتاب الذي تضمن آراء فلاسفة العقد الاجتماعي.

وقد أثبت الدكتور الطاهر مقدره فائقة في التعرف بتلك الفلسفات والآراء المفسرة لحرية المجتمع بمنظور تاريخي مقارن.

وقد تأثر الدكتور الطاهر في مؤلفه المنكور أعلاه بدراسات ابن خلدون عن التغيير والديناميكية الاجتماعية، هذه الدراسات التي تعتقد بحتمة تحول المجتمع من نمط إلى آخر<sup>(٢)</sup>.

فالمجتمع بالنسبة لابن خلدون كالكائن الحيواني الحي يولد وينمو ويتكامل يضعف ويموت وفي حركته التحولية هذه يمر في ثلاث مراحل أساسية هي مرحلة البداوة والمرحلة الريفية وأخيراً المرحلة الحضارية، وسبب مسيرة أو حركة المجتمع من مرحلة إلى أخرى كما يعتقد ابن خلدون هو ضعف العصبية وتفتت التضامن بين أفرادهم وشيوع الرفاهية والرخاء والاستقرار في ربوعه وعجز الناس عن الدفاع عن أنفسهم، ففي مثل هذه الظروف يتعرض المجتمع إلى العدوان والاحتلال فيتحول من شكل إلى شكل آخر.

لقد استفاد الدكتور الطاهر من أفكار ابن خلدون عن مسيرة المجتمع واستعملها في مؤلفه هذا، حيث تطرق إلى أفكار وأطروحات وتحليلات علماء الاجتماع عن تحول المجتمعات البشرية من حيث أسباب التحول ومراحلها، ونتيجة التحول على الإتمان والمجتمع، كما تأثر الدكتور الطاهر في دراسته لمسيرة المجتمع بأسلوب ابن خلدون

(١) الطاهر، عبد الجليل الطاهر (الدكتور)، البدو والعشائر في البلاد العربية، محاضرات على طلبه قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، مصر، ١٩٥٥، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) الطاهر، عبد الجليل الطاهر (الدكتور)، مسيرة المجتمع، بحث في نظرية التقدم الاجتماعي، المكتبة المصرية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥ - ١٠.

الذي يفسر حركة وديناميكية المجتمع الإنساني فهو يعتقد بأن مسيرة المجتمع العربي هي نتاج للصراع المزمع بين البداوة والحضارة، وإن المجتمع العربي قد تحول من البداوة إلى الحضارة وخلال تحوله هذا مر بمرحلة المجتمع الريفي<sup>(١)</sup>. وقد أوضح الدكتور الطاهر هذه الأفكار في بحثه الموسوم "الهجرة من الريف إلى المدينة".

هذه هي أغلب مؤلفات الدكتور الطاهر والتي استعان بعرضها بالمنهج التاريخي والمقارن، والمنهج الإحصائي.

ثالثاً: الدكتور شاكر مصطفى سليم:

حصل الدكتور شاكر مصطفى سليم على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من لندن عام ١٩٥٥ عن رسالته الموسوم "الجبايش دراسة أنثروبولوجيا لقرية في أحوار العراق" فبالإضافة إلى مؤلفاته المتعددة فإن للدكتور سليم نشاط علمي في مجال الترجمة.

ففي رسالته الموسومة أعلاه تناول دراسة النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لمجتمع القرية، حيث درس النظام الاجتماعي للعشيرة والقبيلة والعائلة والقرابة والطبقات الاجتماعية وأثر المضيف في حياة القرية.

وتعد هذه الدراسة واحدة من الدراسات الأنثروبولوجية المهمة التي اتسمت بعمق التحليل وإيجاد للتأثير المتبادل ما بين الأنظمة، وعليه حصلت على شهرة عربية وعالمية واسعة.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤلف الدكتور شاكر مصطفى سليم الموسوم "سكان المستنقعات في جناب العراق" هو الآخر قد تأثر بالنظرية العضوية والسكونية لابن خلدون على الرغم من ادعائه بأنه من أحد الأنثروبولوجيين الموظفين الذين تأثروا بالمدرسة الوظيفية البريطانية لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

(١) الطاهر، عبد الجليل الطاهر (الدكتور)، المشكلات الاجتماعية في حضرة متبلة، ٦٦، مطبعة المعرفة، بغداد، ١٩٥٣، ص ٢٣.

(٢) الحسن، إحصان محمد (الدكتور)، علم الاجتماعي العربي المعاصر بين الأصالة والتغريب، دراسة غير منشورة، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣٥.

ذلك أن وصف وظائف المؤسسات الاجتماعية للمجتمع البسيط "مجتمع الجبايش" وتحليل هذه المؤسسات وتداخل الهياكل بعضها مع البعض يشير إلى تأثير الدراسة بنظرية ابن خلدون السكونية، علماً بأن هذه النظرية تؤكد على وحدة وتكامل الأنظمة الاجتماعية القرية كالأنظمة السياسية والاقتصادية والدينية والعائلية خلال فترة زمنية معينة.

وقد أوضح الدكتور سليم نوع من التأثير المتبادل ما بين النظامين الاقتصادي والاجتماعي، فبعد دخول نظام الإدارة الجديدة للقرية واتصالها بالعالم الخارجي ظهر اقتصاد السوق القائم على الربح، مؤكداً أن أصحاب الدكاكين والتجار في الجبايش أثاروا سخط العشيرة بتكاليفهم غير المشروع على الربح، وقد أدخل ذلك النظام بالعلاقات بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية إخلالاً تاماً، كما أنه عكس إمكانية وجود نوعين من القيم القبلية والتجارية في نفس المجتمع جنباً إلى جنب، استخلص د. سليم بأن اقتصاد أهل الجبايش آنذاك مقيد بالتقاليد القبلية تقيداً شديداً حيث يعاني أهل القرية من صعوبات متعددة بسبب تمسكهم بمثلهم القبلية التي تحول بينهم وبين استخدام طرق جديدة لاستغلال بيئتهم الطبيعية القاسية ورفع مستوى معيشتهم المنخفض.

وقد استعان الدكتور سليم بالمنهج التاريخي والمقارن بالإضافة إلى الملاحظة بالمشاهدة في أغلب مؤلفاته التراثية، ويظهر ذلك واضحاً من خلال تحليله للبنية الوظيفية للمجتمع المدروس في قرية الجبايش.

رابعاً: الدكتور إحسان محمد الحسن:

حصل على شهادة البكالوريوس بدرجة شرف من جامعة لندن عام ١٩٦٦، وعلى شهادة الماجستير في علم الاجتماع التطبيقي من جامعة كلاسكو البريطانية عام ١٩٦٧، وشهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة بودابست عام ١٩٧٧، كما حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة لندن عام ١٩٨٦، وشهادة هابيل في علم الاجتماع بدرجة امتياز من أكاديمية العلوم المجرية ببودابست عام ١٩٨٨.

الدكتور إحسان محمد الحسن نتاج كبير من المؤلفات المنشورة والتي تجاوزت الخمسين مؤلفاً شملت اتجاهات متعددة أبرزها مؤلفة الموسوم "رولد الفكر الاجتماعي، دراسة تحليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي" لقد سهل هذا الكتاب على الباحثين والدارسين

عملية فهم وأدراك كل ما يتعلق بمسيرة ومبادئ ونظريات ومناهج وتعاليم قادة الفكر الاجتماعي، فالكتاب يبدأ بدراسة الأفكار والطروحات الاجتماعية عند العرب والمسلمين خلال فترة القرون الوسطى، ثم يعالج قضايا ومشكلات الفكر والنظرية الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الكتاب تأثر الدكتور الحسن بأفكار ابن خلدون والفارابي واعتمد علي مناهجهما الاجتماعية في فهم واستيعاب الفكر الاجتماعي عند العرب خلال فترة القرون الوسطى، موضحاً بأن دراسة الأفكار والمناهج والنظريات الاجتماعية خلال الحقب المتباينة تكون من خلال وصف وتحليل المبادئ والأفكار والنظريات والمناهج الاجتماعية عند علماء الاجتماع الكبار كل علي انفراد. ففي هذا الكتاب تأثر الدكتور الحسن بالفارابي من خلال توضيح طبيعة الاجتماع البشري موضحاً فيه أنه من الضروري

---

(١) الحسن، إحصان محمد (الدكتور)، رواد الفكر الاجتماعي، دراسة تطليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص ١٠ - ٣٠.

للإنسان أن يتعاون مع بنى جنسه حتى تتحقق الغاية من الاجتماع الإنساني، إذ يعتقد أن الإنسان حيوان اجتماعي بالطبيعة نظراً لسيطرة الغريزة الاجتماعية عليه سيطرة كاملة، وأن اجتماعية الإنسان هي التي تدفعه إلى تكوين علاقات اجتماعية مع الغير وبالتالي ظهور أنماط مختلفة من التضامن كالتضامن الاقتصادي والسياسي والديني... إلخ<sup>(١)</sup>.

أما المفكر العربي المشهور ابن خلدون فإنه أخذ حيزاً كبيراً في مؤلفات الدكتور الحسن، حيث أوضح الدكتور الحسن بأن ابن خلدون يعد أكثر من غيره من علماء ومفكرى العرب والمسلمين إنتاجاً في مجال علم الاجتماع وذلك لموضوعيته وعلميته ودقة ما كتبه عن طبيعة الإنسان والمجتمع والحضارة، وأهمية الموضوعات التي درسها وعالجها ودورها في إغناء العلوم المعروفة في زمانه، إضافة إلى أثره الفاعل في اكتشاف أنماط جديدة من الدراسات سرعان ما أدت إلى ظهور علوم لم يعرفها الإنسان من قبل خصوصاً علم الاجتماع الذي سماه بـ «علم العمران البشري» وعلم فلسفة التاريخ.

وأوضح الدكتور الحسن بأن ابن خلدون كما يعترف علماء الغرب المنصفون والموضوعيون اكتشف علم الاجتماع وحدد مضامينه وأبعاده، ومنهجيته وشخص طبيعته وعلاقته بالعلوم الاجتماعية والطبيعية الأخرى، ووضح أهمية هذا العلم في فهم طبيعة البشر واستيعاب عناصر المجتمع والحضارة خلال القرن الرابع عشر الميلادي<sup>(٢)</sup>.

بينما علماء الغرب لم يهتموا بالدراسات الاجتماعية المرتكزة على حقول علم الاجتماع أو العمران البشري إلا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبهذه يكون ابن خلدون قد سبق علماء وأساتذة الغرب باكتشاف علم الاجتماع ونسج منهجيته وتحديد مضامينه وأبعاده النظرية والعلمية بفترة تزيد على أربعة قرون.

لقد تأثر الدكتور الحسن بأفكار وآراء وطروحات ابن خلدون من خلال دراسته للمجتمع دراسة تاريخية إذ يعتقد بأن المجتمع يمز في مراحل تاريخية متباينة وكل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التي سبقتها، وأشار إلى أن دراسة الماضي ترشدنا إلى

---

(١) بوتول، غاستون، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ترجمة عادل زعيتر، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٠ - ٢٢.

(٢) حسين، طه (الدكتور)، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٠، ص

فهم الحاضر والتنبؤ عن المستقبل، ودراسة كهذه تعود إلى موضوع فلسفة التاريخ الذي برز فيه ابن خلدون قبل غيره من مفكرى وفلاسفة العالم. لقد قسم الدكتور الحسن المجتمعات إلى نوعين من المجتمعات البشرية مجتمعات ريفية ومجتمعات حضرية وهذه الفكرة تعتمد أساساً على الدراسة التي اعتمدها ابن خلدون والتي كانت تنطوي على فكرة تقسيم المجتمعات فى العالم وهى المجتمعات البدوية التى تتميز بكثافة سكانية واطئة والمجتمعات الحضرية التى تتميز بكثافة سكانية عالية.

أما مؤلفاته الأخرى التى دخلت ضمن هذا الاتجاه فمنها مؤلفه الموسوم «علم الاجتماع السياسى» الذى تحدث فيه الدكتور الحسن عن موضوع القيادة وحدد صفات القائد موضعاً أهمية ودور القائد فى المجتمع، ومؤكداً على ضرورة أن يتسم القائد بصفات إيجابية ونادرة تؤهله على القيادة واحتلال الموقع المؤثر فى الدولة والمجتمع وتمكنه من أداء المهام والمسؤوليات الخطيرة التى يضطلع بها والتى يعتمد عليها تقدم ونهوض وازدهار المجتمع.

ولو رجعنا إلى تاريخ الفكر الاجتماعى لوجدنا أن الفارابى قد شخّص أهم الصفات التى ينبغى أن تتوفر عند القائد وأهمها الذكاء والشجاعة والتواضع والعدالة وحب العلم والتضلع بالدين واللباقة وفصاحة اللسان وسلامة الجسد والعقل والمرونة... إلخ.

وفى نفس المؤلف أعلاه نلاحظ تأثر الدكتور الحسن واضحاً بأفكار إخوان الصفا عندما درسوا البناء الطبقي فى المجتمع إذ قسموا المجتمع إلى طبقات مختلفة ووضحوا المقاييس الموضوعية والذاتية للانتماءات الطبقية وقسموا المجتمع إلى ثلاث طبقات هى طبقة الحكام النبلاء وطبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وهى نفس الطبقات التى تناولها الدكتور الحسن فى مؤلفه أعلاه<sup>(١)</sup>.

وفى مؤلفه الموسوم «التصنيع وتغير المجتمع» حلل الدكتور الحسن العلاقة بين البناء الاقتصادى والبنى المؤسسة للمجتمع وهى البناء الأسرى والبناء الثقافى والبناء

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع السياسى، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤،

السكاني، وتحدث عن العلاقة التفاعلية بين البناء الاقتصادي والبنى المؤسسية الأخرى وهي البناء التربوي والسكاني والسياسي. وهنا تأثر الدكتور الحسن بالطروحات الفكرية التي أشار إليها ابن خلدون في كتابه المقدمة عندما درس نظم العمران البشري كالعمران الاقتصادي والتربوي والديني والطبقي<sup>(١)</sup>.

وهناك كتاب «العائلة والقرابة والزواج» الذي نشره الدكتور الحسن عام ١٩٨١ والذي تأثر بمعلوماته بما جاء في فكر الغزالي لا سيما عندما تكلم عن أصول التنشئة الاجتماعية وكيفية تربية الناشئة والصغار والشباب وماهية القيم التي يمكن أن تزرعها العائلة في نفسية الابن، وقد يبدو هذا التأثير واضحاً من خلال الطروحات الفكرية التي جاء بها الغزالي في كتابه «أيها الولد»<sup>(٢)</sup>.

أما بحوث الدكتور الحسن التي تأثرت بأفكار ونظريات المفكرين الاجتماعيين العرب فبحثه الموسوم «علم اجتماع ابن خلدون كما يفسره علماء الغرب» الذي يبدو تأثر الدكتور الحسن واضحاً من خلال تأكيده على أسبقية ابن خلدون في اكتشاف علم الاجتماع قبل غيره من علماء الغرب<sup>(٣)</sup>.

وأوضح الدكتور الحسن في هذا البحث بأن أول من اهتم بدراسة ابن خلدون في الغرب المفكر الألماني فون هامر الذي ألف كتاباً عن اضمحلال الحضارة العربية الإسلامية وقد أشاد بابن خلدون وبمؤلفاته خصوصاً كتابه المقدمة ولقبه بلقب مونتسكيو العرب، واعترف بأصالته في البحث والدراسة العلمية، وكل ما يقال عن ابن خلدون فإنه يدل على أصالته وعبقريته في الحقول التي كتب عنها خصوصاً حقل الاجتماع والتاريخ والفلسفة.

أما بحثه الموسوم «الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع» فقد تحدث فيه الدكتور الحسن عن أهم المساهمات التي قدمها المفكرون الاجتماعيون العرب

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، التصنيع وتغير المجتمع، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (٢٧٤) منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١، ص ١١ - ٥٠.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٩ - ٢٠.

(٣) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم اجتماع ابن خلدون كما يفسره علماء الغرب، مجلة الاستشراق، العدد الرابع، شباط، ١٩٩٠، ص ٦٨ - ٨٠.

والتي نتج عنها بلورة الأسس والمفاهيم العلمية للفكر الاجتماعي العربي. فقد تناول أهم مساهمات الفارابي وإخوان الصفا وابن خلدون وابن بطوطة موضحاً أن ما جاء به علماء الاجتماع العرب والغربيون الكلاسيكيون منهم والمحدثون ما هو إلا بالحقيقة امتداد لما طرقة المفكرون الاجتماعيون العرب في سياق نظرياتهم عن طبيعة المجتمع وقوانين ثباته وتحوله، وماهية السنم الاجتماعية وتكاملها والعلاقة بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والمجتمع من جهة أخرى<sup>(١)</sup>.

ومن البحوث الأخرى في هذا المجال بحثه الموسوم «الجدور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب». ففي هذا البحث تناول الدكتور الحسن اهتمامات المفرين الاجتماعيين العرب بقضايا المنهج وأصول البحث الاجتماعي مركزاً على عدة مناهج علمية ساعدتهم على جمع وتصنيف وتحليل وصياغة الفرضيات والنظريات والقوانين الكونية المفسرة للظواهر والنظم والعمليات الاجتماعية التي اهتموا بها. وقد أوضح الدكتور الحسن أهم المناهج التي اعتمدها في دراساتهم ومؤلفاتهم كالمناهج التاريخية والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائي<sup>(٢)</sup>.



---

(١) الحسن، إحصان محمد (الدكتور)، الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٦٠ - ٧٢.

(٢) الحسن، إحصان محمد (الدكتور)، الجدور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب، المورد، العدد الثاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧٣ - ٨٥.